٢. يحيى الغزال (ت٢٥٠هـ):

حياته وسيرته:

يحيى بن حكم الغزال، ينتسب إلى جيان المدينة الأندلسية المشهورة، وأسرته في أصلها تنتمي إلى (بكر بن وائل)، القبيلة العربية المعروفة، وقد لقبه الأمير عبد الرحمن الأوسط بلقب الغزال، حيث دخل يحيى عليه ذات يوم فحياه، بقوله:

"جاء الغزال بحسنه وجماله"

وطلب إليه أن يجيزه فقال:[١]

قال الأمير مداعباً بمقاله: "جاء الغزال بحسنه وجماله"

أين الجمال من امرى أربى على متعدد السَّبعين من أحواله؟

أورد منها ابن عذارى أربعة أبيات، وذكر أن القصيدة طويلة[٢] وقد اضطربت الآراء حول سنة وفاته، إلا أنها تجمع على أنه ناهز المائة ولعل الراجح في وفاته أنها سنة ٢٥٠هـ، وإذا صحت نسبة البيت الذي يقول فيه، إليه:[٣]

وما لي لا أبلى لتسعين حجةً وسبع أتتْ من بعدها سنتانِ

فإن ولادته تكون في حدود سنة ١٥٠هـ.[٤]

وتستفيض المصادر الأولية في الحديث عن الشاعر، وأبرز الأحداث التي مرت عليه، ويعزز تلك الروايات ما جاء مقترناً بأشعاره، فقد كان متفاعلاً مع أحداث عصره، السياسية، والاجتماعية، وجاءت أشعاره لتصوّر لنا حياته، بكل أبعادها، وشخصيته المتعددة الجوانب.

وفي مقدمة الأحداث التي مرت على الشّاعر، قبضُه أعشار الغلال في زمن عبد الرحمن الأوسط، وتصرفه بها، فأدّى به ذلك إلى السجن، وفيه نظم قصيدته البائية، التي يستعطف فيها الأمير، ويطلب العفو منه ومطلعها:[٥]

بعض تصابيك على زينب لا خَيرَ في الصَّبوة للأشيب

وفيها يتحدث عن استعداده لدفع الأموال التي تصرف بها:

إن تُردِ المالَ فإني امرؤ لم أجمعِ المالَ ولم أكسبِ

إذا أخذتَ الحقَ مني فلا تلتمسِ الربح ولا تَرغبِ

قد أحسنَ الله إلينا معا إن كانَ رأسُ المالِ لم يَذهبِ

ومن الأحداث الأخرى البارزة في حياته، سفارته إلى بلاد النورمان عن الأمير

---

١ مجموع شعره، ق ٤٠، في فصول الأدب الأندلسي، ص ١٩٢.
٢ البيان المغرب، ٢/٩٣.
٣ نفسه، ق ٤٤.
٤ ينظر في وفاته: جذوة المقتبس، ٣٧٥. بغية الملتمس، ص ٥٠٠، المطرب، ١٣٧.
٥ مجموع شعره، ق ٤/١، ١٥ . ١٧.

الأندلسي، ورأى آخرون أنها كانت إلى بلاد الروم (القسطنطينية)، ورأى غيرهم أنهما كانتا سفارتين اثنتين.[1] وأينما صحّت الرواية، فإن الشاعر وصف لنا رحلته في أبياتٍ بارعةٍ، يقول فيها:[2]

قـــال لـــي يحيـــى، وصـــرنا ... بـــين مـــوج كالجبـــال
شَـــقّتْ القَلعـــين وانبتـــ ... ـــتْ عُـــرى تلـــكُ الحبـــالِ
وتمطّـــى ملـــكُ المـــوتِ ... إلينـــا عـــن حَيـــالِ
فرأينـــا المـــوتَ رأي الـــ ... ـــعينِ حـــالاً بعـــد حـــالِ
لـــم يكـــن للقـــوم فينـــا ... يـــا رفيقـــي رأسُ مـــالِ

وتطنب المصادر في الحديث عن سفارته، وما صادفه فيها من أحداث، بحيث نجد شيئاً من اضطراب في شخصيته من خلال تلك الروايات.

فهو يرفض. وأعضاء سفارته. الركوع للملك ولا تأخذه في التزامه بآداب الشريعة الإسلامية في الله لومة لائم. ويخاطب الملك بشجاعة بالغة، ويحدثه، كما يحدث زوجته، بأحاديث عن سير المسلمين، وأخبارهم، وبلادهم، ومن تلك الأشعار قوله:[3]

بَكَـرَتْ تُحسّـنُ لـي سـواد خضـابي ... فكـأن ذاك أعـادني لشـبابي
مـا الشـيبُ عنـدي والخِضـاب لواصـفٍ ... إلا كشـمسٍ جُلّلـت بضَـبابِ
تَخفَـى قلـيلاً، ثـم يقشـعها الصّبا ... فيصـير مـا سـترت بـه لـذهابِ
لا تُنكـري وَضـحَ المشـيبِ فإنّمـا ... هـو زهـرةُ الأفهـامِ والألبـابِ

ونلاحظه يرفض شرب الخمرة حين تدعوه الملكة إلى ذلك ويشير إلى موقفه هذا في أبيات شعرية ولكننا نجد في موقف آخر، شخصيةً تنحرف إلى طمع مادي وعدم تقدير للمسؤولية على نحو ما يشخصه الأوسي من مظاهر سلوكه.[4]

---

١ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ١٦١/١. دولة الإسلام في الأندلس، ٢٧٨. الإسلام في المغرب والأندلس، ١١٣. غارات النورمانيين على الأندلس، ص ٢٨، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ١٩٤٩/١/٢.

وقد اختلفت المصادر الأولية في وجهة هذه السفارة ففي الجذوة ٣٧٤، والبغية ٥٠٠، والمغرب ٥٧/٢، أنها إلى صاحب القسطنطينية في بلاد الروم، ويؤيد ذلك المقري في موضعين من نفح الطيب ٣٤٦/١ نقلاً عن مقدمة ابن خلدون، والموضع الثاني ٢٨٥/٢ نقلاً عن المقتبس لابن حيان، وقد حدد تاريخ سفارته د. الحجي بسنة ٢٢٥، وتذكر المصادر أن عودته من بلاد النورمان كانت سنة ٢٣٢هـ، الاتجاه الإسلامي ٥٨، هامش ١، ويبدو أن المطرب لابن دحية (ت٦٣٣هـ) ص ١٣٨ هو أقدم من ذكر أنها كانت إلى بلاد المجوس (الدنمارك)، وقد نقل المقري في موضع ثالث ٢٥٧/٢ عن المطرب خبر هذه السفارة، وفي قصيدته البائية، ما يشير إلى أنها لبلاد المجوس، ولكن بروفنسال أشار إلى أن "تود" هو اختصار لاسم "تيدورا" ملكة الروم، ينظر: المجموع، رقم ٥، وينظر هامش ٢.

٢ مجموع شعره، ق ٣٤.

٣ نفسه، ق٦. توجه الرواية على أساس أنها من خبر الآحاد، انفرد بها ابن دحية في المطرب والنزعة التي تبناها في كتابه تقوم على أساس الدفاع عن الأندلس والرواية عن تمام بن علقمة في كتابه المفقود يمكن أن تكون الرواية طرأ عليها التحريف إذ أنه ألف كتابه بعيداً عن المصادر وفي الجذورة للحميدي رواية عن أندلسي يلتقي بمصري فيقول له ...

٤ فصول في الأدب الأندلسي، ١٠٣ . ١٠٤.

وأما الحديث الثالث فيقع للشاعر بعد عودته من سفارته حيث يرى أن زرياب يتمتع بنفوذ كبيرة عند الأمير، فيدخل في خصومة معه، تؤدي بالغزال إلى الرحيل عن الأندلس إلى الشرق، هناك يلتقي بتلاميذ أبي نواس بعد موته بمدة يسيرة، ويرى ما هم عليه من تهوين للشعر الأندلسي، وشعرائه، حتى إذا دار الحديث عن أبي نواس الشاعر المبجل لديهم، قال لهم من منكم يحفظ قصيدته:[1]

ولما رأيتُ الشَّرب أكدَت سماؤهم تأبطت زقي واحتسبت عنائي
فلما أتيت الحان ناديت ربه فهب خفيف الروح نحو ندائي
قليل هجوع الليل إلا تعلةً على وجل مني ومن نظرائي
فقلت: اذقنيها، فلما أذاقني طرحت إليه ربطتي وردائي

فأعجبوا بها كثيراً، وذهبوا في مدحها كل مذهب، فلما أفرطوا قال لهم خفضوا عليكم، فإنه لي فأنكروا ذلك، فأنشدهم قصيدته التي مطلعها:[2]

تداركت في شرب النبيذ خطائي وفارقت فيه شيمتي وحيائي

ومن الدارسين المحدثين أحمد هيكل الذي صنف لنا حياة الشاعر وجعلها في ثلاث مراحل:[3]

مرحلة الشباب والنزق وفيها غلب على شعره طابع الخمر والمجون والميل إلى الدعابة، ومرحلة الكبر والتعقل وفيها غلب على شعره طابع النقد الاجتماعي والأخلاقي وتعمق روح السخرية والإحساس بالمرارة إلى حد التشاؤم، وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الضعف والزهد وتغلب فيها على شعره موضوعات الشكوى من تقدم السن والزهد في الدنيا ومتاعها.

والذي نراه أن هذه المراحل مراحل نظرية ليس لدينا من حياة الشاعر ما يؤيدها وأما المؤشرات التي نفيدها في أشعار الشاعر. من حيث المضمون. فهي ليست دليلاً على هذه المراحل، إذ أن أكثر ما يرد من أشعاره يقترن به بعد تجاوز سن الخمسين وأول الأحداث التي مرت بالشاعر، ما نقلته المصادر عن قبضه الأعشار وتصرفه فيها وسجنه فيما بعد وقصيدته البائية التي صدرت من السجن تشير في مطلعها إلى بلوغه الخمسين.. وأما أحداث سفارته ورحلته إلى المشرق إذا صحت.. فكلها حدثت أيضاً بعد السبعين كما تشير إلى ذلك أشعاره.

فليس هناك إذن. بالمفهوم الدقيق. مرحلة شباب ونزق ولا مرحلة كبر وتعقل أما المرحلة الثالثة فلدينا كثير من الشعر في تأييدها.

---

١ مجموع شعره، ق ١.
٢ نفسه، ق ٢.
٣ الأدب الأندلسي، ١٦٤ . ١٦٦.

ديوانه وموضوعاته :

اشتهر يحيى الغزال بالشعر، وذاع صيته بين أدباء عصره فأصبح أحد كبار الشعراء لا في الأندلس فحسب، بل في الشعر العربي بشكل عام، ومنذ عهد مبكر التفتوا إلى جمع أشعاره، وقد وصفت بالكثرة، جمعها حبيب بن أحمد الشطجيري،[1] وقد نهد حكمة الأوسي إلى جمع أشعاره بعد أن فقد المجموع القديم، فاجتمع في مجموعه ما يناهز ثلاثمائة[2] بيت، واستدرك عليه هلال ناجي عدداً آخر من الأبيات،[3] بلغت حوالي خمسين بيتاً.

وإذا أردنا أن نقف على موضوعاته الشعرية فيما وصل إلينا من أشعاره، استوقفتنا ظاهرة غريبة، تتمثل في فقدان أشعار الغزال، لا سيما تلك التي نظمها في مدح ملوك الأمويين، بعد أن زامن خمسة منهم، وهو القائل:[4]

أدركت بالمصر ملوكاً أربعة ... وخامسا هذا الذي نحن معه

فمن غير المعقول ألا ينظم في مدح ملوك عصره، وهو موضع ثقتهم... بعد أن تولّى مهامّ صيرته في ظلهم.. ومنها سفارتاه إلى بلاد النورمان، وبلاد الروم... وما بين أيدينا من أشعاره في هذا الباب لا يعدو قصيدته التي يستعطف بها عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦. ٢٣٨)، ولم نجد من أخباره ما يشير إلى صلاته بملوك الأندلس الذين أدركهم ومن أبياته في بائيته يقول:[5]

مَن مبلغٌ عني إمامَ الهُدى ... الوارثَ المجدِ أباً عن أبِ
وأصبح المشرقُ من شوقه ... إليك قد حنّ إلى المغرب
مِنبره يهتف من وجده ... إليك بالسهل وبالمرحب
خفا به الوجد فلو منبر ... طار لوافى خطفة الكوكب
إلى جميل الوجه ذي هيبة ... ليست لحامي الغابة المغضب
لا يمكن الناظر من رؤيته ... إلا التماح الخائف المذنب

وقد أعجب القدماء بأبياته المتقدمة آنفاً في معنى الهيبة، ورأى بدير متولي حميد أنه كان مجدداً فيها سابقاً البحتري[6] (ت٢٨٤هـ)، وربما كان الأخير متأثراً به.

وفي المقتبس أورد بيتين في بيعة الأمير محمد،[7] وهناك نتفتان، كل واحدة في بيتين في المديح، غير معروف لمن وجههما.

---

١ جذوة المقتبس، ٣٧٥. البغية، ٥٠١. كشف الظنون، ٨٠٤.
٢ فصول، ١٧٢. ١٩٥.
٣ هوامش تراثية، ص ١٠١. ١٠٥.
٤ مجموع شعره، ق ٣١.
٥ مجموع شعره، ق ٤.
٦ قضايا أندلسية، ص ٦٤.
٧ المقتبس، ١٣٤.

ويتصدر موضوع **الحكمة والزهد** موضوعاته الشعرية، إذ بين أيدينا سبع عشرة قطعة في هذا الموضوع، وتصوره أشعاره في سني حياته الأخيرة، يصدر عن حكمة بالغة، وتجربة محنكة، وتتقدم قصائده في هذا الباب، قصيدة طويلة في عشرين بيتاً يظهر فيها عزوفه عن اللذات والمتع المحرمة، فيقول:[1]

لعَمريَ ما ملكَّتُ مِقُودي الصّبا ... فأمطو للذاتٍ من السّهل والوعرِ
ولا أنا ممن يؤثر اللهوُ قلبَه ... فأُمسيَ في سكرٍ وأصبحَ في سُكرِ
وباللهِ لو عمّرتُ تسعينَ حِجّةً ... إلى مِثلها ما اشتقت فيها إلى خمرِ
ولا طربتْ نفسي إلى مزهرٍ ولا ... تَحنّنِ قَلبي نحو عودٍ ولا زَمرِ

ثم ينتهي إلى ضرورة استثمار هذه الدنيا بصالح الأعمال فيقول:

فهل لك في الدنيا سوى السّاعة التي ... تكونُ بها السَّراء أو حاضر الضَّر
فما ساقَ منها لا يمسّ ولا يرى ... وما لم يكنْ منها، عميٌّ عن الفكرِ
فطوبى لعبد أخرج الله روحه ... إليه، من الدنيا، على عمل البرِ

ويبدو أن الشاعر بقي يضرب أكباد الأرض، فصوّر لنا غربته التي فرقته عن الأحباب والخلان في أسلوب حوار مع إنسانة قريبة منه، ربما كانت زوجة أو ابنة تخشى عليه العطب في رحلته يقول:[2]

وكم ظاعنٍ قد ظن أن ليس آيبا ... فآبَ وأودَى حاضرون كثيرُ
رأيتُ المنايا يدركُ العُصَم عَدوُها ... فيُنزِلها والطيرُ منه تطيرُ
وعلّلي أمضي ثم أرجع سالما ... ويهلك بعدي آمنونَ حضورُ
وكيف أبالي والزمان قد انقضى ... وعظمي مَهيضٌ والمكانُ شطيرُ
وقد يهرُب الإنسان من خيفه الردى ... فيدركه ما خاف حيث يسيرُ

ومن أبياته الحكيمة قوله:[3]

من ظنّ أن الدهرَ ليس يُصيبه ... بالحادثات، فإنه مغرورُ
فالقَ الزمان، مهوناً لخطوبه ... وانجرَ حيثُ يجركَ المقدورُ
وإذا تقلبت الأمورُ ولم تدمْ ... فسواءٌ المحزونُ والمسرورُ

وفي أخريات حياته وبلوغه أرذل العمر، يدعو الناس إلى أخذ الموعظة مما أدركه، والحال الذي بلغه:[4]

تسألني عن حالتي أم عَمزْ
وهي تَرى ما حلّ بي من العبزْ
اربَدّ منّي الوجهُ وابيض الشعرْ

---

١ مجموع شعره، ق ١٥، و٢١.
٢ المجموع، ق ٢٩، ق ٣٠ والراجح أن القطعتين في أصلهما قصيدة واحدة.
٣ ق ١٧.
٤ ق ٢٠.

وصارَ رأسي شهرةً من الشّهرْ
فانظرْ إليّ واعتبرْ ثم اعتبرْ
فإنّ للحليم في معتبرْ

ويحذر الغزال من صولة الزمن لأن السلطان لا يدوم وبشاشته سرعان ما تنصرم:[1]

وإن أعطيت سلطاناً فحاذرْ صولة الزمنِ
أخو السلطان موصوفٌ بحسنِ الرّأي والفطنِ
كأنّ بشاشة السلطا ن حين تزول لم تكن

وثاني موضوعاته الشعرية الذي انتظم ما وصل إلينا من شعره، هو **نقد المجتمع** من نواحٍ متعددة، وصور مختلفة، يكشف عن عيوبه المستشرية، ويوجه سهامه، لهؤلاء الذين انحرفوا عن جادة الصواب، بأسلوب المبالغة، ويتوقف عند بعض تلك الآفات، ليعالج الرياء، عند من يُظهرُ صلاحاً ونقاءاً، وتأتي معالجته سافرة متهكمة، في قوله:

إذا أخبرتَ عن رجلٍ بَريء من الآفاتِ ظاهره صحيحُ
فسلْهم عنه هل هو آدمي؟ فإنْ قالوا نعم، فالقول ريحُ
ولكن بعضنا أهل استتار وعند الله أجمعنا جريحُ
ومن إنعام خالقنا علينا بأن ذنوبنا ليستْ تفوح
فلو فاحت لأصبحنا هروباً فرادى بالفلا ما نستريح

وقد لمّح بدير متولي حميد، تأثر هذه الأبيات بأبيات لأبي العتاهية ولد سنة ١٣٠هـ (ت٢١١هـ) التي يقول فيها:[2]

خانك الطرف الطموح أيها القلب الجموح
أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح

وله أبيات بائية يختصها بمراءٍ يظهر للناس بصمت، وقطوب، وخشوع، يحاوره فيقول:[3]

قلت: هل تألمُ شيئاً؟ قال: أثقالُ الذنوبِ
قلت: لا تُعنَ بشيءٍ أنتَ في قالبِ ذيبِ

وفي أبيات بائية أخرى يغلي مرجله، ويسوء ظنه، في الناس فيتهمهم بالحيلة، والغدر، والانتقام، حين يحدثنا فيقول:[4]

لا، ومن أعملَ المطايا إليه كلُّ من يرتَجى إليه نَصيبا
ما أرى هَهنا من النّاسِ إلا ثَعلباً يطلبُ الدّجاج وَذيبا
أو شبيهاً بالقط ألقى بعينيهِ إلى فارةٍ يريدُ الوُثوبا

---

١ ق ٥٠.
٢ قضايا أندلسية، ٥١. وينظر أبو العتاهية في شعره وأخباره، تحقيق د. شكري فيصل، ٩٧.
٣ ق ٩.
٤ ق ٨.

وفي قصيدة أخرى يرى أن الأعمال هي مقياس الرجولة، ويؤكد ضرورة انشغال كل بعيبه عن الآخرين، ويهوّل من آفة اللسان:[1]

الناس خلقٌ واحد متشابه ... لكنما تتخالف الأعمالُ
ولكلّ إنسانٍ بما في نفسه ... من عيبه عن غيره إشغالُ
ورأيتُ ألسنةَ الرّجال أفاعيا ... طوراً تثور وتارة تغتالُ

ولا يغادر شاعرنا بؤر الفساد، حتى يلمز أساليب الكسب، غير المشروعة، فيقول في سخرية شديدة:[2]

إن الحلال وحده لا يختمز
أين ترى مالاً حلالاً قد ثمر؟
ما إن رأينا صافياً منه كثر

ولذلك يدعو إلى الزهد والقناعة في الحياة، ويسخر من قيم الناس، حين يفرقون بين بني الإنسان، حياً وميتاً، فإن محاولتهم آيلة إلى الفشل والبوار، لأن العبرة بما في قعر القبر لا بمظهره:[3]

أرى أهل اليسار إذا توفوا ... بنوا تلك المقابر بالصخور
أبو إلا مباهاةً وفخراً ... على الفقراءِ حتى في القبورِ
ألمّا يبصروا ما خرّبته الد ... هورُ من المدائن والقصور؟
لعمرُ أبيهم لو أبصروهم ... لما عُرفَ الغنيّ من الفقيرِ
ولا عرفوا العبيد من الموالي ... ولا عرفوا الإناثَ من الذكور
إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الكبير على الحقير؟

وتواجهنا قصائد كثيرة في هذا الاتجاه، تصور لنا تجربته مع المرأة، وتتلخص هذه التجربة في مشكلة قديمة، تتمثل في التفاوت بين عمر الرجل والمرأة، يسوقها مرة في صيغة حوار بين أب وابنته، يخيّرها في الزواج بأحد رجلين، شيخ غني، وفتى فقير، فتختار ثانيهما:[4].

وخَيّرها أبوها بين شيخٍ ... كثيرِ المالِ أو حدثٍ فقيرِ
فقالت: خطتا خسف، وما إن ... أرى من حظوة للمستخيرِ
ولكن إن عزمتَ فكل شيء ... أحبّ إليّ من وجه الكبير
لأن المرءَ بعدَ الفقر يثري ... وهذا لا يعود إلى صغير

وترد ثانية في صورة امرأة تبادله الحب فيسيء الظن بها:[5]

---

١ ق ٢٦.
٢ ق ٢٧.
٣ ق ١٦.
٤ ق ٢٤.
٥ ق ١٤.

قالـت: أحبـك، قلـت: كاذبـة غـري بـذا مـن لـيس ينتقـد
هـذا كـلامٌ لسـتُ أقبلـه الشـيخ لـيس يحبـه أحـد

ويتكرر الموضوع ثالثة في أبيات نونية:[1]

إن الفتـاة وإن بـدا لـكَ حبهـا فبقلبهـا داءٌ عليـك دفـين
وإذا ادعين هـوى الكبير، فإنما هـو للكبيـر خديعـةٌ وقـرون

وفي الغالب أن الشاعر عاش أبعاد هذه التجربة، وأن أبياته مما نظم في شيخوخته التي ثقلت عليه، فكان يعاني من متاعب كثيرة، فهو لذلك لا يثق بودّ المرأة، ويتهمها بالتضليل والخداع:[2]

يـا راجيـاً ودّ الغـواني ضـلةً ففُـؤادُه. كلفـاً بهـنّ موكّـلُ
لا تكلفـنَ بوصـلهنّ فإنمـا الـ ـكِلفُ المحبّ لهنّ من لا يعقلُ

وأما الموضوع الثالث الذي أسلس الشاعر له قياده فهو **الغزل والمجون**، وما بين أيدينا من شعره، لا يعدو عشر قصائد، وأشهرها همزيته التي تقترن برواية رحلته إلى المشرق، ونشك في تلك الرحلة، ونرجح أن القصيدة نظمت بقصد إظهار الباع، وإبداء البراعة، في النظم، وجاء الرواة، فأوحت مخيلتهم الخصبة قصة رحيله إلى المشرق، والقصة مما ينسجم مع الاتجاه العام للأندلسيين والروح المسيطرة عليهم في معارضة المشارقة وإظهار التفوق عليهم.

وفي الغزل الماجن له قصيدتان متقاربتان في الطول، مطلع الأولى:[3]

لم أنس إذ برزت إلي لعوب طرباً وحيث قميصها مقلوب

ومطلع الثانية:[4]

كتبت وشوق لا يفارق مهجتي ووجدي بكم مستحكم وتذكري

وهي أكثر وقاراً من الأولى وأعف في معانيها، يبدؤها بالشوق إلى قرطبة لأنه أودع فيها أهل وده، وذكرياته العبقة، وهي مشوبة بالأسى والأسف، على ما تصرم من تلك الأيام ثم يختمها بالبكاء، والسلام الكثير، فيقول:

ألا يا نسيم الريح بلّغ سلامنا وصف كلّما يلقى الغَريبُ وخبرّ
وقل لشعاع الشمس بلغ تحيتي سميك واقرأها على آل جعفرِ

وفي قصيدة ثالثة، يحدثنا عن شوقه، ويبث لواعج حبه، في نقاء وعفاف ويضمنها أشواقه، ووجده بعد أن شتت الدهر شمله، وخاس الزمان به، حتى انتهت تلك الوشائج الروحية إلى صورة من الغدر والجفاء:[5]

---

١ ق ٤٥.
٢ ق ٣٥.
٣ ق ٧.
٤ ق ٢٦*.
٥ ق ٤١.

أقرَ السّلام على إلف كَلِفتُ به ... قد رُمت صبراً وطولُ الشوق لم يرمِ
كنا كروحين في جسم غِذاؤهما ... ماءُ المحبةِ من هامٍ ومنسجمِ
ففرّق الدّهر شملاً كان ملتئماً ... منا وجمع شملاً غير ملتئمِ
أشكو إلى الله ما ألقى بفرقته ... شكوى محب سقيم حافظ الذممِ
لو كنت أشكو إلى صم الهضاب إذن ... تفطرت للذي أبديه من ألمِ

ومن قصائده ما جاء مخالفاً للبناء المألوف للقصيدة العربية، إذ يستهل قصيدته بوصف رحلة البحر ثم ينتقل إلى الغزل بسليم.[١]

ومن قصائده المتميزة في هذا الباب ما جاء مقترناً بذكر الملكة تيودورا في قصيدتين بائيتين ومطلع الأولى:[٢]

كلفت يا قلبي هوى متعبا ... غالبت منه الضيغم الأغلبا

ومطلع الثانية:[٣]

بكرت تحسن لي سواد خضابي ... فكأن ذاك أعادني لشبابي

والقصيدتان تدوران في اتجاه واحد، تمثلان شخصية الغزال الظريفة، وحسن تعليله، وواقعية نظرته إلى الشيب، الذي حاول أن يخفيه بالخضاب.[٤]

تلك أبرز الموضوعات التي دارت عليها أشعاره، وفي مجموعه الشعري مقطعات أخريات، تندرج في هجاء بعض الشخصيات التي عاصرته، منها ما جاء في هجاء زرياب المغني، ونصر، والقاضي يخامر، وأخوه معاذ.

شاعريته وسماته الفنية:

وقفنا عند حياة الشاعر، وأبرز الأحداث التي انعكست على شعره، وتأملنا في موضوعاته الشعرية التي كانت مرآة صادقة لنفسه الطروب، كما يرى عبد الله كنون[٥] وقد أثنى على شاعريته أكثر الباحثين فرأى الرافعي أنه من شعراء الأندلس كامرئ القيس من شعراء الجاهلية، وبشار من شعراء المحدثين،[٦] ووجد إحسان عباس أنه شاعر الأندلس المقدم على جميع شعراء عصره.[٧]

وسنتوقف عند أبرز السمات الفنية التي امتازت بها شاعريته، أما غرسيه غومس فيرى أن السّر في امتياز الغزال لا يعود إلى براعته في الشعر بقدر ما هو بسبب حياته الخاصة الطريفة التي كان يحياها.[٨]

---

١ ق ٣٤.
٢ ق ٥.
٣ ق ٦.
٤ وتنظر قصيدته رقم ٣٧.
٥ الشعر الأندلسي، بحثه في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، ص ٣٣٣ . ١٩٥٦/٣/٣١.
٦ تاريخ آداب العرب، ٢٦٣/٣.
٧ تاريخ الأدب الأندلسي، ١٦٥/١.
٨ الشعر الأندلسي، ص ٣١.